قضايا الأدب الهامشي :المجتمع

6.0

د.غزلان هاشمي

24/03/2024

قائمة المحتويات

وحدة 5

مقدمة 7

I-تعريف الهامش الاجتماعي: 9

II-أدب الزنوجة وإعادة الاعتبار للرجل الأسود: 11

III-رواية « بوغيز العجيب » للروائي العراقي ضياء الجبيلي : 13

خاتمة 15

قائمة المراجع 17

مراجع الأنترنيت 19

وحدة

ـ نحاول في هذا الدرس معرفة أهم شكل من أشكال الإقصاء الاجتماعي في الأدب.
ـ معرفة تمثيلات الفئات الاجتماعية في بعض الأشكال التعبيرية والخطابية.

مقدمة

تقوم الحياة الإنسانية على الثنائيات الضدية والتي تخلق تراتبية وجودية ،تجعل من طرف أعلى قيمة من الآخر ،وقد قام الأدب المركزي بالاحتفاء بالشخوص المركزية ،وحتى في حالة الحديث عن الهامشيين والمستبعدين فإن ذلك لا يعدو أن يكون في صيغة لاحق وإضافي .. ،انطلاقا من ذلك حاول أدب الهامش أن يتحدث عن الفئات الاجتماعية المحرومة والمسحوقة ،والتي قام المركز باستبعادها ،وأن يعيد الاعتبار إليها .

I تعريف الهامش الاجتماعي:

الهوامش الاجتماعية إنه الموقف الذي يمر به الفرد أو المجموعة الاجتماعية عندما لا يتم اعتبارها جزءًا من المجتمع من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو المهنية أو الاجتماعية. يمكن أن تحدث هذه الظاهرة لأن السكان يتبعون المثل العليا المقبولة من قبل المجتمع أو بسبب اتباع مصالح مجموعة أقلية مع السلطة.

يتم التعبير عن عمليات التهميش الاجتماعي من حيث الرفض أو اللامبالاة أو القمع أو العزلة. بغض النظر عن درجتهم ، فإن السمة المشتركة هي الافتقار إلى الفرص والحرمان وعدم إمكانية الوصول إلى السلع والخدمات الأساسية للرفاهية الاجتماعية.

تم استخدام مفاهيم مثل سوء التكيف والانحراف والفقر من قبل العديد من المنظرين الاجتماعيين بالتبادل للإشارة إلى الاستبعاد الاجتماعي.(1)[1]

II أدب الزنوجة وإعادة الاعتبار للرجل الأسود:

يطلق مصطلح الزنوجة على أصحاب البشرة السوداء ، و في الأدب يشير معناه إلى خصائص أسلوبية و أدبية تميزت بها كتاباتهم ، التي حاولوا فيها إثبات وجودهم نظرا لما وجدوه من اضطهاد و استعمار ، و قد نشطت الزنوجة في السر مع بداية ظهورها بسبب نظام الرق القمعي ، إذ أسهم هذا الوضع في تنكرها لقناعاتها الذاتية ، كما كان السود أحيانا يقابلون تلك الأوضاع بمشاعر الفخر و الاعتزاز بالذات كرد فعل على المركزية الغربية ، و في ظل هذه الظروف و مع صدور قانون فرنسي عام 1685 يحرم الجالية السوداء من الكتابة و القراءة عام 1848 ، كانت الكتابة الزنجية في هذه الفترة اتباعية خاضعة للمعايير الفرنسية و محاكية لأدبها.

أثرت فلسفة الفيلسوف الألماني هيغل في تطور بدايات فكر الزنوجة مع القرن 19 ، حينما أصدر أحكاما انتقاصية و تهميشية في حق العرق الأسود ، حيث استثناهم من عملية التطور التاريخي في كتابه " فلسفة التاريخ " ، هذه الأحكام ساهمت بشكل كبير في تطوير النظرية العرقية البيولوجية في فرنسا و التي أسسها الدكتور فيري و البيولوجي جورج كوفتير و الكاتب جوزيف آرثر غوينو ، حيث تم فيها الاعتقاد بدونية الإنسان الأسود.

حاول العديد من الكتاب و المؤلفين التعامل مع هذا الموقف المتعصب و المركزي لهيغل ، بإعادة تركيب التاريخ الإفريقي على اعتبار أنه يمثل المنطلق للروح الوطنية السوداء ، و من هؤلاء : ألكسندر كروميل و مارتن روبيسون ديلاني و إدوارد ويلموت بلايدن الذين طوروا نموذجا و شكلا مبتكرا من الفكر الزنجي.

أما في أمريكا فقد بدأت هذه الحركة في نيويورك عام 1919 تحت مسمى حركة الزنوجة-النهضوية ، ثم امتد نشاطها إلى العاصمة الفرنسية باريس ، من خلال نشر العديد من الروايات و القصائد في مجلة العالم الأسود التي أسست عام 1921 من قبل رنيه ماران ، حيث حاولت هذه المجلة إبراز النتاج الفكري للسود ، خاصة بعد أن انضمت لها العديد من الأسماء كالأديبين الأمريكيين لانغستن هيوز و كاونتي كلن و كذا ليون إماس من غويانا و ليوبولد سيدار سنغوار من السنغال و إيتيين ليرو من جزر المارتينيك.

هذا و وضع الطلاب الجامعيون السود بفرنسا منشورا تحت مسمى " الدفاع الشرعي " عالجوا فيه المشكلات السياسية و العرقية و الثقافية التي واجهت الزنوج ، حيث نددوا فيه بما مارسه الاستعمار عليهم من استعباد جسدي و فكري و تهميشهم و وضعهم في أسفل السلم الاجتماعي ، و تبرير هذا الوضع من الناحية البيولوجية و التاريخية ، كما تناول المنشور مشكلة الملونين الذين انجروا وراء مركزية الغرب فتبنوا قيمه و لغته و أحكامه الانتقاصية بحقهم ، مما جعل هذا النوع منبوذا من قبل السود و البيض معا ، و قد التف حول هذا المنشور العديد من الأسماء الأدبية.. و انبثقت من هذا التجمع صحيفة تحت عنوان " الطالب الأسود " و التي قامت بنقد النظام الاستعماري و الدفاع عن وضع الزنوج و كرامتهم.

ورد مصطلح الزنوجة من قبل الفرنسي المارتينيكي الشاعر و السياسي إيمي سيزار في منشور العودة إلى مسقط الرأس عام 1939 ، ثم قام بتعريفه عام 1961 من خلال قوله أن : « الزنوجة هي أن يتقبل الأسود ببساطة واقعه و تاريخه ». حاولت الكتابة الزنجية أن تعبر عن الوضع المهمش الذي عاشه السود آنذاك و الذين اعتبروا حتى عام 1939 متوحشين برابرة بدائيين.

يقول إيمي سيزار : « لماذا قلت الزنوجة ؟ لم أقلها لأنني أؤمن بلون البشرة ، لا لم يكن هذا قصدي... عن حسن نية كان كل الناس يعتقدون أن لا وجود إلا لحضارة واحدة ، حضارة الأوروبيين ، أما الباقي فهم همج و بالطبع ، هناك الرأي العام الذي يشوه الحقائق أيضا ، بل و حتى الزنوج أنفسهم ».

يقول الرئيس السنغالي الأسبق و الشاعر سيدار سنغور : زنوجتي . في نظري . ليست سباتا للعرق و إنما شمس للروح ، زنوجتي بصيرة و حياة . زنوجتي مجرفة في اليد تلوح في الكف كالصولجان . و لكن هل يفهم الآخر ، الرجل الأبيض ، حقيقة هذه الزنوجة ، من حيث هي ذات ، و هوية و هوى ، و مجاز و مزاج . و وعي بالوجود ، و ثورة على كل القيود و الحدود ؟.

في قصيدة بعنوان " عزيزي أخي الأبيض " يقول : عندما ولدتُ ، كنت أسودًا و عندما كبرتُ كنتُ أسودًا ، و تحت لفح الشمس أظل أسود ، و عندما أكون مريضا أبقى أسودًا ، و يوم أموت سأبقى أسود ، أما أنت ، أيها الرجل الأبيض فعندما ولدتَ ، كنتَ ورديًا ، و حين كبرتَ صرتَ أبيضا ، و تحت لفح الشمس و الحر ، تصير

أحمرا ، و إذ يدثرك البرد و القر ، تصبح أزرقًا ، و إن داهمك الخوف تلونتَ أخضر و حين تصير مريضا ، يميل لونك أصفر ، و يوم تموت تذوي رمادي اللون...فهل لي ، أنا و أنتَ ، إذن أيُنا الحرباء ، و أيُنا الرجل المتلون ؟(2)[2]

III رواية « بوغيز العجيب » للروائي العراقي ضياء الجبيلي :

تعالج الرواية إشكالات الحياة عند الأقليات بالبصرة ، إذ كشفت حياة المهمشين من خلال سرد رحلة تاريخية عجائبية نحو ماضي المدينة البعيد ، حيث رصدت حياة الزنوج (مجتمع العبيد) ، و يستثمر الروائي تقنية السيرة الذاتية بين حاضر المدينة و ماضيها ، فقد اكتشف مخطوطا عن حياة الزنوج في البصرة بعنوان « المقامة الزنجية في أحوال بلدة البصرية » لإخون البصري هداية بهرام أفندي فقام بإعادة كتابتها بلغة معاصرة من أجل فضح المسكوت عنه و الاستجابة إلى نداء حسي كما يقول هو « يأتي من تلك الأقاصي الزمنية التي التفت حولي.. أسمع أصوات السياط ، و هي تضرب ظهور العبيد ، بينما هم يحملون الملح على أكتافهم في سباخ البصرة » ، فعندما يرى مشاهد مرعبة عن حالة الزنوج في هذه المدينة « جثث أهلكها الطاعون و هي تحرق ، الخيل و هي تجر جثث الأشقياء و الخونة و المجذومين إلى الشط » ، يصرخ في متصفحي المخطوطة من أجل إخراجها من عتمة الماضي إلى ضياء العصر الحديث.

تجسد الرواية أحداثا عبر سيرة محلة الكرخانة ، و هي كلمة تركية تعني مكان العمل ، الكار هو العمل أو المهنة و الخانة هي المكان و ترمز لمدينة البصرة و سكانها ، تسرد سيرة « بوغيز » و هو شخصية بلهاء أقرب إلى طبيعة الحيوان « كان بوغيز الزنجي إذا جاع أصدر صوتا أجش عاليا مزعجا ،كخوار الثور ، يفعل ذلك أثناء تجواله بحثا عن الطعام .. و هو لا يتكلم إلا نادرا ، و لا يكاد يسمع له صوت .. » .. لتصبغ إذن عليه المخيلة الشعبية هيئة العملاق المخيف الذي لا يؤذي نملة و هو لا يفعل شيئا عدا « ملء الأواني و الأكواز بالماء الصالح للشرب » و هي وظيفة ترفع مرتبته و رتبة قومه بشكل رمزي إلى رتبة المساعدة على إدامة الحياة.

و يقف البطل هو و قومه في مقابلة صريحة مع السلطة التي يمثلها الباشا و الشيخ غالي رجل الدين و رجال المجتمع السري ، فالهامش يمثله العبيد و الجواري عكس هذه السلطة التي تمثل المركز.

يعمد الباشا إلى إخصاء كل العبيد من الرجال ، و يتم اغتيال " عزت رفقي باشا " بشكل غامض بدون معرفة قاتله فتتفكك السلكة و تشيع الفوضى عبر الإشاعات و الأقاويل و هنا تدخل المحلة في حداد طويل ، حرم فيه رجل الدين غالي صهر الباشا على الأزواج الاقتراب من زوجاتهم حتى يجدوا قاتل الباشا ، في هذا الفضاء المحمل بكتم الرغبات و إذلال الذات من الرجال و النساء ، يبدأ الهامش بالصعود « حين يظهر وحده بوغيز للسقا ، ذلك الزنجي العملاق يدور في الأزقة ، حاملا قربته الكبيرة ، يتنقل من بيت إلى آخر »

و هنا تفشت الرذيلة في المحلة بل و دخلت حتى إلى بيت الشيخ « غالي عبد ربه » الذي حرّض على قتل بوغيز باعتباره قاتلا للباشا.

تظهر علامات تشير على خراب هائل ، علامة من علامات الانتقام القدري انتقاما على قتل بوغيز و إخصاء الرجال السود ، بعد شنق بوغيز تعود أعوام الخصب و النماء و تفتح المقاهي و الدكاكين و تنتشر الولائم في أرجاء المحلة ... لكن فجأة ينحو السرد منحى عجائبي عندما أشيع أن « شبح بوغيز الزنجي يطوف في أرجاء المحلة ، و يملأ بيوتها بالفساد انتقاما لما فعلوه ، عندما تم شنقه و صلبه على باب المقبرة » ، تحل اللعنة على بيوت السكان و تنتشر الإشاعات و الأقاويل.

الرواية إذن تتحدث عن هذه الفئة المهمشة التي عاشت الغربة في أوطانها ، و دون علاقة إيجابية مع السكان الأصليين ، إذ عاشوا ضمن هامش المدينة .هذه الرواية جاءت لتعيد لهذه الفئة المهمشة اعتبارها بشكل رمزي حين يندفع مواطنو محلة الكرخانة من التجار و الميسورين ، السلطة الفعلية في المدينة ببناء ضريح لبوغيز الزنجي في مقبرة العبيد ، لم يمض الكثير من الوقت حتى أخذ الناس يحجون إليه في إشارة واضحة إلى إعادة الاعتبار لبوغيز و لقومه من الزنج.

لكن نهاية الرواية اعتنت بتكرار اللعنة على سكانها ، على الرغم من كل ما فعلوه لبوغيز و انتشار مظاهر الفوضى و المجاعة في إشارة واضحة إلى أعوام التسعينيات في العراق ، ليكون مستقبل المحلة (المدن) محكوما بعدم الاستقرار و افتقاد الأمن و السلام الاجتماعي.(3)[3]

خاتمة

الكثير من المتون الروائية بل لا نبالغ إن قلنا جلها حاولت تقويض المركزيات الاجتماعية ،لذلك نجد في تضاعيفها حديث عن الصراع الأبدي بين البطل والسلطة الاجتماعيةوتعارضهما ،ولربما النتاج الأخير يعبر عن رغبة في مجاوزة الراهن وإسقاط للقداسات الاجتماعية وإعادة الاعتبار للهامش الاجتماعي المستبعد،ووكذا عن صورة المركبة حول الكثير من المسلمات التي كانت في تصويرها متعالية على الواقع.

قائمة المراجع

[2] غزلان هاشمي:تعارضات المركز والهامش في الفكر المعاصر،دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع،العراق،ط1 ،2014.

مراجع الأنترنيت

[1] ماهو التهميش الاجتماعي؟ https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=740381

[3] المقامة الزنجية في سيرة بوغيز العجائبية
https://www.alquds.co.uk/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B2%D9%86%D8%AC%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%B3%D9%8A%D8%B1%D8%A9-%D8%A8%D9%88%D8%BA%D9%8A%D8%B2-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AC%D8%A7%D8%A6%D8%A8/